الإلحاد

وَسَائِلُهُ، وَخَطَرُهُ، وَسُبُلُ مُوَاجَهَتِهِ

تأليف

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أُسْتَاذُ العَقِيدَةِ المُشَارِكِ بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ
بِالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

دار اللؤلؤة

منشورات دار اللؤلؤة

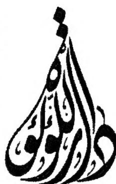
(٢٧)

الإلحاد

وسائله، وخطره، وسُبُل مواجهته

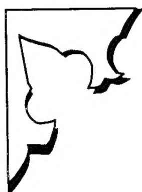
حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظةٌ لِلمُؤلِّفِ

الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



دَارُ اللُّؤلُؤةِ لِلطِّبَاعةِ وَالنَّشرِ
لبنان - بيروت
هاتف : ٠٠٩٦١١٨٢٤١٩٤
جوال : ٠٠٩٦١٧٠٦٥٤٤٦٠
البريد الالكتروني: Daralloloaa@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم




مقدِّمة المعتَنِي

الحمد لله الملك العلام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

فهذه الرسالة أصلها محاضرةٌ ألقاها فضيلة شيخنا الدكتور صالح بن عبد العزيز سندي، في الجامعة الإسلامية بتاريخ: (١٩/ ٤/ ١٤٣٣هـ).

وقد حضرتها ورغبت وقتئذٍ في إخراجها، إلَّا أنه منع من ذلك مانعٌ، ثم سنحت الفرصة الآن فعمدت إلى إخراجها مدقِّقًا لنصِّها على أصله الصوتي، مع عزو آياتها وما ورد فيها من أحاديث، وتصحيح ما يلزم تصحيحه من عبارات يقتضيها أسلوبُ الإلقاء، لتناسب أسلوبَ الكتابة، ثم عرضتها عليه ـ وفقه الله ـ فراجعها.

والله المسؤول أن يصلح النيَّة ويسدِّدَ العملَ،

وأن يجعل ما صنعتُه ذخرًا لي عنده، وأن يغفر لشيخنا ويعلي مقامه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه



ربيع بن أحمد البيطار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا به وتوحيدًا، وأشهد أن نبينا محمدًا ﷺ عبده ورسوله وخيرته من خلقه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فإن الأدلة العقلية والنقلية، والحس والفطرة، كلها شاهدة بأن ربنا تبارك وتعالى هو المتفرد في ربوبيه، والمتوحد في ألوهيته، عزَّ سلطانه، وعظم جلاله، وعلا شأنه، ونفذ أمره، وكمل بهاؤه.

استوى على عرشه، يدبر أمر عباده، الملك الحق، قيوم بنفسه، مقيم لغيره، غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ

فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ [الرَّحمـٰن: ٢٩]، يغفر ذنبًا، ويفرِّج كربًا، ويفكُّ عانيًا، وينصر ضعيفًا، ويجبر كسيرًا، ويُغني فقيرًا.

يُميت ويُحيي، يُسعد ويُشقي، يُضِل ويهدي، يُنعم على قوم ويسلب نعمته عن آخرين، يُعز أقوامًا ويُذل آخرين، ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، يمينه جل جلاله ملآى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار.

الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، لا إله إلَّا هو العزيز الحكيم.

ليس له بوَّاب فيُستأذن، ولا حاجب فيُدخلَ عليه، ولا وزير فيُؤتى، ولا ظهير فيُستعانَ به، ولا له وليٌّ ولا شفيعٌ إليه إلَّا من بعد إذنه، ولا نائبَ عنه فيعرِّفه حوائج عباده.

أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء قدرةً ورحمةً، لا يشغله شأن عن شأن، لا تُغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرَّم بإلحاح الملحِّين، لو اجتمع أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم، وقاموا في صعيد واحد ثم سألوه فأعطى كلًّا منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عنده ذرة واحدة.

فسبحانه ما أعظمه وما أكبره، إنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

ألا فبعدًا للظالمين الجاحدين.

إنه الله ربُّ العالمين، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الرعد: ٢، ٣]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾ [لقمان: ١٠، ١١].

لقد قالت رسل الله ﷻ لأقوامهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]؛ أي: فإنه سبحانه أظهرُ الأشياء وأجلاها، الذي وجود الأشياء مستندٌ إلى وجوده، فهو الشَّاهد والمشهود له، وهو الدَّليل والمدلول عليه.

هو الدليل بنفسه على نفسه؛ كما قال بعضهم: «كيف أطلب الدليل على ما هو دليلٌ لي على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهرُ منه».

فسبحان من شهدت بوحدانيته المخلوقات، وخشعت لعظمته الكائنات، وافتقرت إليه جميع البريَّات، فلا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ فهو يحييها ويميتها، ويعدمها ويبقيها، ويحفظها ويدبِّرها، ويصرِّفها ويسخِّرها، فمنه الإيجاد ومنه الإمداد، ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طـه: ٥٠]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [الجاثية: ٦].

﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟! فهو أعرف من أن يُنكَر، وأعظم من أن يُجحَد.

وليس يصح في الأذهان شيءٌ
إذا احتاج النهار إلى دليل

فوجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهرُ من كل شيء على الإطلاق؛ فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبيَن للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلَّا مكابرٌ بلسانِه، وقلبُه وعقلُه وفطرتُه كلُّها تكذِّبه.

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟! إنما يكون الشَّك فيما تخفى أدلتُه وتُشْكل براهينُه، فأمَّا من له في كلِّ شيءٍ محسوسٍ أو معقولٍ آيةٌ بل آياتٌ؛ شاهدةٌ بأنه هو الذي لا اله إلَّا هو رب العالمين؛ فكيف يكون فيه شك؟! فليس في طرق العلوم التي يعرفها البشر أكثرُ ولا أدلُّ ولا أبيَنُ مما يدلُّ على وجوده وربوبيته وألوهيته ﷻ.

إن كل ما تراه بعينك أو تسمعه بأذنك أو تعقله بقلبك، وكل ما نالته حاسة منك، فهو دليل عليه تبارك وتعالى.

إذن طرق العلم بالخالق ﷻ ضرورية ليس فيها أدنى شك، ولذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟! فخاطبوهم مخاطبة مِن لا ينبغي له أن يخطر له شك ما في وجوده ﷻ، بل في ألوهيته وربوبيته وكماله في صفاته جل وعلا.

ومع كون هذه القضية أظهر القضايا وأوضحها، إلَّا أنه وُجد شُذّاذٌ من البشر أنكروها، وأضحت فتنتهم ووباؤهم غزوًا مركزًا تجاه ناشئة المسلمين وشبابهم، يُصيب عقيدتهم وأخلاقهم في مقتل؛ فلذا كان الوقوف في وجه هذه الفتنة النكراء وهذا الإرهاب الفكري الشنيع من أعظم الجهاد في سبيل الله؛ لأنه دفع للصائل عن الدين والدنيا جميعًا.

ما هو الإلحاد؟

الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد.

وأما في الاصطلاح: فإنه إنكار وجود الله تبارك وتعالى.

والملحدون: هم الذين لا يؤمنون بوجوده جل وعلا، بله وحدانيته في ربوبيته وألوهيته.

وهؤلاء الملاحدة يقولون: إن الكون وُجد بلا خالق، والمادة أزلية؛ هي الخالق والمخلوق معًا، وبالتالي فإنهم يكفرون بالرسل ويجحدون الأديان.

❑ **وفي الجملة هم صنفان**:

الصنف الأول: من يعتقد بنفي الله جل وعلا.

الصنف الثاني: وهم الذين يطلق عليهم: «اللاأدرية»، وهم الذين يقولون: لا ندري، هل يوجد رب خالق أم لا؟

ويجمع هؤلاء وأولئك عدم الإيمان بالخالق جل وعلا، لكن هؤلاء مع شك، وأولئك مع جزم.

والبحث والواقع يكشفان أن معظم المفكرين الذين أعلنوا إلحادهم لم يتمتعوا بصفة الإلحاد الموجب ـ كما يقولون ـ؛ أي أنهم لم يستندوا إلى نظريات علمية، وإنما هم ملحدون إلحادًا سلبيًّا، وذلك أنهم يُبدون ـ فقط ـ عدم قناعتهم بأدلة وجود الله.

وفي هذا يقول أحد الفلاسفة الفرنسيين ـ وهو (موريس بلوندل) ـ: «ليس هناك ملحدون بمعنى الكلمة».

وليس ببعيد عمن ذكرت طائفةٌ من الملاحدة الفلاسفة الذين قالوا بإثبات خالق للكون؛ لكنهم زعموا أنه تخلَّى عنه أو فَنِي بعد أن خلقه وتركه يسير بنفسه، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ما أعظمها من جريمة! فالله سبحانه يقول: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١]؛ فكيف بمن جحده بالكلِّية؟!

ومعلوم أن وجود الإلحاد قديمًا في الناس قليل؛ إذ

لم يذهب إلى إنكار الله ﷻ في القديم إلَّا شرذمة قليلة من البشر، من أشهرهم: فرعون حينما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣].

وذهب إليه كذلك طائفة من الفلاسفة، وكذا طائفة من مشركي العرب الذين يطلق عليهم: الدَّهرية؛ وهم القائلون بقدم العالم وإنكار الصانع.

إذن لم يلقَ إنكار الخالق جل وعلا ـ قديمًا ـ رواجًا بين الناس، وفي هذا يقول أحد مؤرخي الإغريق ـ وهو (بلوتارخ) ـ: «لقد وُجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبدًا مدن بلا معابد».

وأما في العصر الحديث فإن الأمر قد اختلف؛ فمنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر، ومع التطور العلمي والتكنولوجي الذي شهده الغرب؛ بدأت بوادر تيارات أعلنت نفي وجود الخالق سبحانه!

وهذا العصر كان عصر «ماركس» و«داروين» و«نيتشه» و«فرويد» الذين قاموا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية بطريق ليس لاعتقاد الخالق فيها أثر.

وقد ساهم في هذا الأمر: الموقفُ الهشُّ للديانة النصرانية في القرون الوسطى وما تلاها، نتيجة للحروب والجرائم والانتهاكات التي تمت في أوربا باسم الدين، بسبب تعامل الكنيسة الكاثوليكية في حق ما اعتبرته هرطقة أو خروجًا عن مبادئ الكنيسة.

ولم يقف الأمر عند العلماء التجريبيين أو النفسانيين أو الاجتماعيين؛ بل تعداهم إلى الأدباء الذين أعلنوا ما أسموه: فكرة وفاة الدين والخالق، وأن الدين أبعَدَ الإنسان عن إنسانيته بفرضه قوانين تعارض طبيعة البشر حريةً وسعادةً.

وقد تزامنت هذه الأفكار مع الأبحاث الشهيرة لـ«**داروين**» وهي التي كانت مناقضة تمامًا لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدس عند النصارى.

وكذلك فقد أعلن «**نيتشه**» مقالته المشهورة: «موت الخالق الأعظم»، ومقالته الأخرى: «إن الدين فكرة عبثية وجريمة ضد الحياة».

وهكذا أخذت أفكار الملحدين في هذه المرحلة منحى النفور من الدين، لتناقض العقل مع تصرفات وتعاليم الكنيسة.

كما أعلن «**ماركس**» أيضًا نظريته المشهورة: «لا إله، والحياة مادة»، واعتبر الدين: «أفيون الشعوب»، إذ هو في زعمه يجعل الشعب كسولًا وغير مؤمن بقدراته في تغيير الواقع.

وظهر «**فرويد**» كذلك بنظريته التي زعم فيها أن الدين وهْمٌ كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها، وأن فكرة وجود الإله هي محاولة من اللاوعي للوصول إلى الكمال في شخص هو مثل أعلى بديلٍ لشخصية الأب؛ إذ إن الإنسان في زعمه في طفولته ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق، ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال، فيحاول اللاوعي إيجاد حل لهذه الأزمة بخلق صورة وهمية لشيء اسمه الكمال.

ويضاف إلى ما سبق: أن ثمة تغيرات سياسية شهدتها فرنسا بعد الثورة الفرنسية ـ وكذلك الحال في بريطانيا وغيرها من البلدان الأوربية ـ حيث كان هناك اتجاه سائد لفصل الدين عن السياسة.

وهكذا بدأ الإلحاد المعاصر في الغرب، وهكذا انتشر سريعًا، حتى وصلْنا إلى هذه السنوات الأخيرة التي بدأ فيها بريق الإلحاد يتوهَّج بعد فترة ركودٍ أعقبت سقوط

الدولة الراعية للإلحاد الداعمة له، وهي الاتحاد السوفييتي.

ووفقًا للإحصاءات؛ فإن انتشار الإلحاد في العالم يتنامى بصورة خطيرة، من هذه الإحصاءات ما قامت به مؤسسة: «**يوربا روميتر**» ـ وهي من كبريات المؤسسات الإحصائية في أوربا ـ فقد ذكرت أن ١٨٪ من سكان أوربا في عام (٢٠٠٥م) أصبحوا ملاحدة لا يؤمنون بوجود خالق، و٢٧٪ منهم لا يؤمنون بخالق، وإنما يؤمنون بعالم روحاني أو قوة وراء الحياة.

ومنها أيضًا إحصائية مؤسسة: «**إبسوس ريد**» ـ وهي مؤسسة شهيرة متخصصة في استطلاعات الرأي ـ ذكرت أن أعداد الملاحدة في كندا في عام (٢٠١١م) وصلت إلى (٤٣٪).

وكذلك ما ذكرته مجلة: «**فاينانشال تايمز**»، فإنها ذكرت أن (٦٥٪) من اليابانيين أصبحوا في عام (٢٠٠٦) ملاحدة.

وكذا إحصائية مؤسسة «**إينجو**» التي ذكرت أن عدد الملاحدة يزداد في المكسيك بنسبة (٥,٢٪).

وقد ذكرت إحصائيات أخرى أن نسبة الملاحدة في الصين ما بين (٨ ـ ١٤٪)، ناهيك عن أن كثيرًا من البوذيين ـ وهم أعداد هائلة ـ هم في حقيقة أمرهم ملاحدة.

أما قناة «بي بي سي»؛ فقد توصلت إلى أن (٩٪) من الأمريكان ملاحدة، كما ذكرت إحصاءات أخرى ـ رسمية وشبه رسمية ـ أن الإلحاد في الولايات المتحدة ينمو بوتيرة سريعة، وأن (٥٥٪) من الملاحدة واللاأدرية تقل أعمارهم عن (٣٥) سنة، وأن الجامعات الأمريكية مرتعٌ خصبٌ لانتشار هذا التيَّار.

هذا كله عند غير المسلمين، فماذا عن العالم الإسلامي؟

إن المتتبِّع للتاريخ الإسلامي يجد حالاتٍ فرديةً وشاذَّةً لأناس ارتدوا إلى الإلحاد، من أشهر أولئك: «**ابن الراوندي**» الملحد الذي كان يهوديًّا ثم أعلن الإسلام ثم تهوَّد ثم ألحد.

أما الإلحاد في ثوبه المعاصر؛ فإنه دخل إلى العالم الإسلامي في منتصف القرن التاسع عشر، مدعومًا من

الاستعمار، ومغطى بغطاء التغريب والدعوة إلى التحرر والعقلانية والتنوير بدايةً، والإلحاد وإنكار وجود الله ﷻ نهايةً.

وقد حفل التاريخ المعاصر بأسماء كثيرة حجزت لنفسها مكانًا في سجل الإلحاد المظلم، من الداعين المتحمِّسين له، ومن المقعِّدين والمؤصِّلين لأصوله.

ولا أظن أحدًا يغفل عن أن العالم الإسلامي حتمًا سيتأثر بالمد الإلحادي الغربي، نظرًا لهذا التقارب الكبير والتواصل الواسع بين الأمم في العصر الحديث.



المدارس الإلحادية

أما عن المدارس الإلحادية: فليس هناك مدرسةٌ إلحاديةٌ تجمع تحت لوائها كل الملحدين، لكنهم في الجملة اتجاهان:

اتجاه علمي تجريبي.

واتجاه فكري فلسفي.

وعن هذه وتلك نشأت مدارس تستلهم من الإلحاد مادتها.

فمنها: «**العلمانية**»، التي تعني: بناء المجتمع على أسس مادية لا علاقة للدين بها.

ومنها: «**الوجودية**» التي نادى بها «**سارتر**» وغيره، وهي التي تدعو إلى إبراز قيمة الفرد وحريته، وقدرته على أن يفعل ما يريد.

ومنها: «**الوضعية**» التي نادى بها «**أوغست كونت**»

وأترابه، وهي فلسفة تنكر أي معرفة تتجاوز التجربة الحسية.

ومنها: «**الشيوعية**» التي أسسها «**كارل ماركس**» وهي التي تقرر أن لا إله وأن الحياة مادة.

ومنها: «**الداروينية**» التي تقرر نظرية التطور والارتقاء.

ولا أنسى أن أشير هنا إلى مدرسة عبثية إلحادية انتشرت في العالم، ووصلت إلى عقر دار المسلمين، وهي مدرسة: «**عَبَدة الشيطان**»، وهي حركة إلحاديةٌ في فلسفتها، وثنيَّةٌ في طقوسها، يهوديةٌ في دعمها، تنكر الربَّ جل وعلا، وترفض الأديان، وليس لها هدف في الحياة إلا التمرد واللَّذة ـ بل اللذة الشاذَّة ـ والكلام عنها يحتاج إلى تفصيل أوسع نظرًا لعظيم ضررها.

وبعض الباحثين يقسم الإلحاد بحسب الدافع إليه، ويجعله ثلاثة أقسام:

الأول: **الإلحاد العاطفي**، وهو الذي دافعه استشكالٌ للقدر.

الثاني: **الإلحاد المادي النفعي**، وهو الذي دافعه

الرغبة الجامحة في اللَّذات والرتوع في الشهوات دون قيود.

الثالث: الإلحاد العقلي العلمي، وهو الذي دافعه ما يُزعم من نظراتٍ فلسفيةٍ وعلميةٍ.

وسواء كانت هذه التقسيمات حاصرة أو غير حاصرة؛ فإن الوصف المشترك الجامع لكل هذه التشعبات الإلحادية: عدم الإيمان بالخالق ـ سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا ـ.

هذا؛ وإنَّ الكلام عن الإلحاد واسع متشعِّب، إلَّا أنه يمكن أن تحصر مهماته ـ بعد هذه المقدمة المتعلقة بتعريف الإلحاد ومدارسه ـ في أربعة محاور.

وسوف أسعى ـ بعون الله ـ في توضيحها وتلخيص شتاتها في ضوء كلام أهل العلم السابقين واللاحقين، وما سطره الباحثون الذين أجادوا في طرق هذا الموضوع في أبحاثهم المطبوعة أو المنشورة في الشبكة، ومن خلال ما ظهر لي بالتأمل والبحث والتحليل، والله المستعان.



المحور الأول:

أسباب الإلحاد



الإلحاد منافٍ للفطرة، منافر للعقل، ومع ذلك فقد انتشر في العالم بصورة عامة، وتسلل إلى العالم الإسلامي على وجه الخصوص لأسباب، ألخص أهمها فيما يأتي:

السبب الأول: الهزيمة الحضارية التي استولت على نفوس كثير من الشباب، فأدت إلى احتقارهم لأمتهم ولإرثها العقدي، وأدت ـ بالمقابل ـ إلى النظر بعين الإعجاب والإكبار للغرب، وأنهم متفوقون، وأن سبب تفوقهم المادي إنما هو إلحادهم.

السبب الثاني ـ وهو سبب مهم ـ: عدم فهم قضية القضاء والقدر على وجهها الصحيح، ولا سيما ما يتعلق بالحكمة والتعليل في أفعال الله تبارك وتعالى.

السبب الثالث: غسيل العقول الذي يتعرض له من يسكن بين الكفار من القاطنين أو السائحين أو المبتعَثين، حيث تُكرَّس عليهم دومًا شبهٌ لا يستطيعون دفعها.

ولا يمكن أن يُهوَّن من مكر الكفار وكيدهم للمسلمين؛ فإن لهم مكرا عظيما ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦].

السبب الرابع: حب الشهوات والرغبة الجامحة في الانفلات، أو ما يسمى بالحرية اللاأخلاقية؛ فهي تتناسب والإلحاد؛ فلا حلال ولا حرام في ظلال مملكة الإلحاد، ولا رقيب ولا حساب ولا جزاء، ولا وجود لما يسمى باللسان المعاصر: «تأنيب الضمير»، أي النفس اللَّوامة التي تضرب المسلم بسياط الندم على اقتراف القبائح.

ولذا فإن كثيرًا ممن يميل إلى الإلحاد دافعهم الشهوة لا غير، والأمر كما قال أهل العلم: «الشهوة صابون الشبهة»، أي هي التي تسهل مرور الشبهة إلى النفوس.

السبب الخامس: وقوع مشكلات وتناقضات في نظر الملحد ـ لا سيما الشاب ـ تجاه الدين، وهذا السبب مفهوم بالنسبة للنصارى؛ أما بالنسبة للمسلمين: فإنه راجع في الغالب إلى خرافات تقع من أهل البدع؛ فتُنسب زورًا إلى الإسلام.

السبب السادس: الجهل بدين الإسلام ومحاسنه؛ إذ لو أقبل هؤلاء على هذا الدين العظيم لكفاهم عن كل نظرية وعن كل فكر وعن كل فلسفة، ولكنهم كما قال الشاعر:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمولُ

السبب السابع: وهو الأهم، وهو السبب الراجع إلى الملحد نفسه؛ فما ألحَد أحدٌ ونكص على عقبيه إلَّا وقد أُتي من قِبل كِبْر في نفسه، فإن الله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: ٥٦].

وقد أدى هذا الكبر إلى ثمرات، منها:

أولاً: أن يكذب بدين الله، قال تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩].

ثانيًا: الإعراض ورفض الاستماع للحق، قال سبحانه: ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦﴾ [يس: ٤٦].

ثالثًا: الفرح بما عنده من علوم كاسدة يعارض بها

شرع الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾ [غافر: ٨٣].

رابعًا: تقليد أئمة الضلال، قال جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف: ٢٣].

وأخيرًا: الثمرة النهائية وهي الزيغ، قال عزَّ شأنه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥].



المحور الثاني:

دعائم الإلحاد ومرتكزاته، والنهج الذي قام عليه الفكر الإلحادي تأصيلًا ودعوة



ابتداءً ينبغي أن يقال: ليس للفكر الإلحادي نظرية متكاملة تفسِّر كل الظواهر من البداية إلى النهاية، وتجيب عن كل الأسئلة الحائرة، إنما يقدم الملاحدة للناس مجموعةً من الظنون والافتراضات التي لا تقنع عقلًا، ولا تشفي غليلًا.

وقد دعم الملاحدة فكرهم بنظريَّة علميَّة من هنا، ونظرية فلسفية من هناك، وجمعوا بين هذه وتلك، فخرجوا من هذا التلفيق بمنهج هجين مشوّه غير مقنع.

ومن خلال التتبع وُجد أن ما يقيم عليه الملاحدة منهجهم يرجع إلى مرتكزين:

الأول: نظريات علمية تجريبية.

والثاني: نظريات فكرية فلسفية.

ولا بد من بيان هذين المرتكزين كي يكون فهمنا للإلحاد دقيقًا وعميقًا.

المرتكز الأول:
النظريات العلمية التجريبية

النظريات العلمية التجريبية التي يعتمد عليها الملاحدة هي بالاستقراء نوعان:

الأول: نظريات علمية غير صحيحة، وكثير من تلك النظريات التي ملأت الدنيا ضجيجًا في القرنين الماضيين بدأت تخبو، لتحل محلها نظريات تتفق والحقائق الإيمانية الدينية؛ فالواقع يشهد أن النظريات العلمية الحديثة تبتعد عن الإلحاد وتقترب من الإيمان، في حين أن الدين ـ ولله الحمد ـ ثابت مستقر لا يتحول ولا يتبدل؛ لأنه وحي إلهي.

ثم إنه على تسليم صحة شيء من تلك النظريات؛ فإنها تبقى نظرياتٍ قاصرةً غير مستوعبةٍ ولا شافيةٍ، كما سيأتي التمثيل لذلك قريبًا.

الثاني: نظريات صحيحة، ولكنها لا تعدو ـ بعيدًا عن سُحُب تلبيساتهم ـ أن تكون نظريات تكشف عن أسباب ووسائط وعلاقات بين المخلوقات، ولكنها ليست

تعليلًا لوجود الكون على هذا الوجه الدقيق الثابت القوانين بدون خالقٍ ومدبِّرٍ حكيمٍ عليمٍ كما يزعمون.

ومنشأ الخلل عند هؤلاء هو أنهم لم ينفذوا من الأسباب إلى مسبِّبها، ومن المخلوقات إلى خالقها.

من أهم تلك النظريات:

النظرية الأولى: نظرية داروين، وهي التي وصفها في كتابه «أصل الأنواع»، الكتاب الذي أصبح اللَّبِنة الأساسية لنظرية التطور الإلحادية.

وقد أقام داروين مدرسته على أساس أن الأحياء لم يُخلق كلُّ واحد منها خلقًا مستقلًّا؛ بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة، ثم أخذت تتطور وترتقي من طورٍ إلى طورٍ حتى نشأ الإنسان وبقية الكائنات، والطبيعة في ذلك كانت تختار الأصلح للبقاء، وهذا ما عبَّر عنه بمصطلح: «الانتخاب الطبيعي» أو: «بقاء الأصلح».

وتجمع مدرسة داروين في ثناياها كبار ملاحدة العالم، الذين يرون أن الإنسان لا خالق له، وأنه وليد ملايين السنوات من التطور الطبيعي والنشوء والارتقاء بين الأنواع المختلفة.

وقد اهتم الملاحدة كثيرًا بهذه النظرية، لأنها في نظرهم النظرية الوحيدة التي يمكن بها تفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى خالق، والواقع أنها نظرية هشَّةٌ ضعيفةٌ غير متماسكة، ولذا فقد اضمحلت وضعفت كثيرًا في عصرنا الحاضر.

ويمكن تلخيص أهم أوجه بطلان هذه النظرية ـ من خلال كلام العلماء والباحثين النقاد ـ في النقاط الآتية:

أولاً: أنها نظرية قاصرة؛ فهي لم تفسر جميع ظواهر الحياة في هذا الكون، إذ هي ـ مثلًا ـ لا تقدم تفسيرًا لأصل نشأة الحشرات، مع أنها تمثل (٨٠%) من مجموع الحيوانات؛ فهل تطورت تلك الحشرات أم بقيت على ما هي عليه، ولِم لم يجرِ عليها قانون التطور؟

كما أنها لم تقدم تفسيرًا للطيور؛ فهل ما يطير من الحيوانات قد تطور؟ وماذا كان أصل هذا التطور؟

إلى أشياء أخرى ترجع إلى الأحياء قد أهملتها؛ فما قيمة نظرية لا تقوم بتفسير (٩٠%) من الظواهر التي من المفترض أن تتناولها؟!

ثانيًا: عجز أرباب هذه النظرية وأنصارها عن بيان

كيفية انتقال الحياة من جماد إلى كائنات حية؛ فإذا سألتهم: كيف وجدت الحياة فجأة من خلية جامدة إلى أنفس حية لها إحساس وعقل؟ يجيبك الملحد وتجيبك النظرية: بأن هذا التطور إنما حصل فجأةً! صدفةً!

ولا يخفى أن الصدفة ليست جوابًا علميًا، بل هي جواب يصادم العلم كما سيتبين عن قريب إن شاء الله.

ثالثًا: أنه عند التأمل فيما اعتمدت عليه النظرية نجد أنها تنطلق من وجود تشابه بين الأحياء، ولذا قرر «داروين» أن أصل الإنسان قردٌ بسبب هذا الأمر.

ومن طريف ما يُذكر هنا ما أنشده الشاعر الملحد «الزهاوي»، حيث يفخر بأنه من نسل قرد هالك فيقول:

مــا نــحــن إلَّا أقــرُدٌ   مــن نــســل قــردٍ هــالــكِ
فــخــرٌ لــنــا ارتــقــاؤنــا   فــي سُــلَّــم الــمــدارك!

أقول: مما تزعمه هذه النظرية: أن وجود الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان يدل على وجود تشابه بينهما، وهنا يُسأل أرباب هذه النظرية: لماذا لا يكون الإنسان متطورًا من فأر وليس من قرد؛ لأنهما يشتركان في كثير من الأمراض، كالسرطان مثلاً؟!

ولا جواب عند هؤلاء.

ومن خرافات هذه النظرية أيضًا: الزعم بأن الأعضاء غير المستعملة تضمر بمرور الزمان، وتنتقل ضامرة إلى الأجيال القادمة، أما التي تُستعمل فتقوى وتتطور؛ ولذا يقولون: كانت عنق الزَّرافة طويلة لأنها محتاجة إلى أن تأكل من الأشجار فتمد عنقها، ثم تطور الأمر شيئًا فشيئًا حتى أصبح العنق طويلًا!

والسؤال الوارد عليهم: ولماذا لم تطُل عنق الماعز مع أنها محتاجة كذلك إلى أكل الأوراق من الأشجار، وهي تمد عنقها أيضا منذ آلاف السنين؟!

أيضًا لا جواب!

كما يذكر «داروين» أن أسلافنا كانوا ذوي شعر كثيف، وأنه عندما تطور وتحول هذا الكائن إلى إنسان سويٍّ: سقط كثير من شعره لعدم استعماله أو الحاجة إليه.

لكنه عندما جاء ليفسر عدم وجود الشعر عند النساء كما هو عند الرجال اعتذر بعذر عجيب؛ حيث زعم أن هذا ضروريٌّ لجمال المرأة وجاذبيتها!

وهذا الجواب من الممكن أن يُقتَنع به لو كان النظر

للموضوع يصاحبه اعتقادٌ بوجود خالق حكيم؛ لكن هذا لا يقرُّ به الملاحدة!

أيضًا حاول «داروين» أن يفسر وجود الشعر في منطقة الرأس من الإنسان، وعدم تساقطه مع بقية شعر الجسم الذي سقط في زعمه؛ فيقول: بما أن الرأس معرَّض كثيرًا للضربات؛ فقد كان من الضروري أن يبقى الشعر عليه!

يا لله العجب! فماذا عن الجبين والأنف، وهما يتعرضان لصدمات أكثر؟!

وماذا عن الشعور الداخلية في الجسم؛ هل كان وجودها لهذا السبب أيضًا؟!

باختصار: إنها نظرية هشَّة، متداعية.



النظرية الثانية: نظرية الانفجار العظيم.

وخلاصة هذه النظرية: أن أصل الخلق كان كُريَّة بسيطة ذات خلية واحدة، وهي صغيرة كرأس الدّبوس، كانت تسبح في اللازمان واللامكان، ثم انفجرت فجأة قبل

(١٥) مليار سنة! فنتج عن هذا الانفجار تكون هذا الكون بالتدريج. فأصل هذا الكون كله إذن: رأس الدبوس هذا!

والسؤال الذي سيبقى سوطًا يضرب ظهور هؤلاء الملاحدة:

من أين جاءت نقطة الدبوس هذه؟!

هذا ما لم يجيبوا عنه، ولن يجيبوا.

ثم: لماذا كانت هذه الكرية ساكنة ثم قررت فجأة أن تنفجر؟!

وما ميزة هذه اللحظة التي انفجرت فيها ـ بالذات ـ عن غيرها؟

ثم: كيف يُنتِج انفجارٌ نظامًا بديعًا؟ وهل الانفجار يناسب النظام؟

ثم: كيف أنتجت نقطةٌ من مادةٍ جامدةٍ حياةً وعقلًا ومشاعر؟

ويجيب الملحد بأنه حصلت تفاعلات أنتجت خلايا اجتمعت فتكونت بعد الانفجار بهذا النظام البديع في كل شيء.

وإذا سئلوا: كيف حصل هذا الاجتماع للخلايا؟

وكيف وجدت الحياة من الجماد؟

أجابك الملحد ببلادة: حدث هذا تلقائيًّا، وصدفةً!

إن الصدفة عند الملاحدة: ربُّ العالمين المكوِّنُ لهذا الكون!

لأن كل الظواهر عندهم تُعلَّق بها؛ فبالصدفة وُجدت السماء، ووُجد الغلاف الجوي، ووُجد الضغط الجوي، ووُجدت الغازات، ووُجدت السحب، ووُجدت أرضٌ قابلةٌ للحياة، ووُجدت الأنهار، ووُجدت البحار، ووُجدت الأسماك، ووُجد الإنسان، ووُجدت أعضاء مناسبة لاحتياجاته؛ فوُجد سمع، ووُجد بصر، ووُجد قلب يدقُّ، ووُجدت كريات دم حمراء وكريات دم بيضاء بأعداد متناسبة، وفوق هذا وُجد العقل والأحاسيس؛ كل هذا حصل ـ عند الملاحدة ـ صدفة!

لا يشك عاقل أن قانون الصدفة باطلٌ، ففي بدائه العقول: لا يمكن أن توجِد الصدفة حقائق منتظمة.

مثالٌ يوضح المقام: لو قدَّرنا أننا وضعنا مجموعة قرود في غرفة، ووضعنا أمامهم آلات كاتبة وأوراقًا ليعبثوا

بها، ثم عدنا بعد برهة من الزمن؛ فهل من الممكن أن نجد أمام كل آلة من هذه الآلات قصيدة غزلية رائقة تنافس قصائد كبار الشعراء؟!

مثال ثانٍ: لو وضعنا الآلة الكاتبة أمام طفل يعبث بها، ثم نظرنا في الورقة بعد حين؛ فهل يُعقل أن نجد أنه كتب معادلة رياضية من الدرجة الثانية! وقام بحلِّها أيضًا؟!

مثال ثالث: لو وضعنا في صندوق قصاصات صغيرة، مكتوب في كل واحدة منها حرف، ثم رُجَّ رجًّا شديدًا، ثم فتحناه؛ فهل يصدِّق عاقلٌ أن الحروف قد تجمعت فكوّنت خطبة حماسيّةً عظيمةً؟!

مثال رابع: لو رمينا حجارة خلف ظهورنا، واحدةً تلو الأخرى، فهل يمكن أن نجد إذا التفتنا بيتًا جميلًا؟!

الجواب في كل ما سبق ـ عند كل عاقل ـ: (لا)، وأما عند الملاحدة فـ(نعم)!!

وقد وجدت أن أحد الملاحدة وهو: «إسماعيل أدهم» الذي هلك سنة (١٩٤٠م)، قد ألَّف كتابًا سمَّاه:

«لماذا أنا ملحد؟!!»، قرر فيه قانونَ الصدفة بحماس؛ فهو يقرر أن مَثل العالَم مَثل مطبعة فيها من كل نوع من الحروف الأبجدية مليون حرف، وقد أخذت هذه الحروف في الحركة والاصطدام، فتجتمع وتنتظم، ثم تتباعد وتنحل، هكذا في دورةٍ لا نهائيَّةٍ، فسيخرج كتاب «أصل الأنواع» الذي ألَّفه داروين، بل جميع المؤلفات ستأخذ دورها في الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان في اللانهائية.

هكذا «ببساطة» يمكن - عنده - مع هذا الارتجاج لحروف المطبعة أن تخرج لنا جميع الكتب!

وهذا القول ليس قول رجلٍ مصابٍ في عقله أو معتوهٍ، بل هو قول رجل كان حاصلا على الدكتوراه في الرياضيات، ويجيد ثمان لغاتٍ، ومع ذلك يقرر هذا الكلام الذي ينكره أي عاقل - بل أي غبي - لكنه الإلحاد الذي يصيِّر الإنسان أغبى المخلوقات على الإطلاق.

ثم إنني أقول: إن كلامه فقطْ كافٍ في نقض إلحاده من أصله؛ فإنه يزعم إن هذه الحروف إذا تحركت واصطدمت فسوف تخرج كل الكتب؛ حسنًا .. لكن من الذي سيحركها؟! إذ إنها تحتاج - في بدائه العقول - إلى

محرِّك، وتحتاج إلى من يمدُّها بالحبر، وتحتاج إلى مكان يقبل اجتماع الحروف، وتحتاج إلى من يصفُّ الأوراق ويرتبها حتى تأخذ كل صفحة عددًا مماثلًا من الأسطر، ثم تحتاج إلى من يجلِّد هذه الكتب ويفصل بعضها عن بعض!

إذن لم تكن الصدفة وحدها كافيةً في خروج هذه الكتب، بل لابد من قوةٍ، ولا بد من إرادةٍ، ولا بد من حكمةٍ، أي أنه لا بد من فاعلٍ قادرٍ حكيمٍ.

وتأمل معي في مثال رمي الحجارة السابق: لو استبدلنا الحجارة ببيض ـ مثلًا ـ هل سينتج رمينا ذلك البيت؟

الجواب بالتأكيد: لا.

إذن فلا بد من تصميم ولا بد من حكمة.

وهكذا ذرَّات الكون؛ إنما ضُمَّت إلى بعضها بحكمة، بحيث أنها إذا اجتمعت بطريقة معينة كانت ذهبًا، وإذا اجتمعت بطريقة معينة كانت ماءً، وهَلُمَّ جرًّا.

والعقلاء جميعًا متفقون على أن الصدفة لا تُنتِج نظامًا، ولا يمكن أن تُكرِّر نظامًا واحدًا، ولا يمكن أن تبرز فيها ـ دائمًا ـ آثار القصد.

إن الحقيقة التي لا تُجحد: أن الملحد أغبى الناس في أهم قضية، وإن كان قد يكون ذكيًّا في غيرها، ورحم الله الذهبي إذ قال في آخر ترجمة «ابن الراوندي» الملحد الذي كان غاية في الذكاء: «لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادة مع التقوى»[(١)].

وبعيدًا عن هذه الأكذوبة .. نجد القرآن قد أبان عن الحقيقة في كلمات قليلة، حيث قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطُّور: ٣٥،٣٦].

وهذا ما فهمه أعرابيٌّ لم يحمل شهادة في الرياضيات، ولا درس نظريات «نتشه» و«لافوازييه» ولا «داروين» ولا غير هؤلاء، وإنما نطقت فطرته السويَّة حين سُئل: بم عرفت ربك؟ فقال: «**البعرة تدل على البعير، والروث يدل على الحمير، وآثار الأقدام تدل على المسير؛ فسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير؟!**»[(٢)].

هذه الفطرة التي تدل على أن لكل حادث مُحْدِثًا،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢).

(٢) نفح الطيب (٥/ ٢٨٩).

وعلى أن لكل مخلوق خالقا، ولذا ترى الصبي الذي إذا ضُرب خلسة التفت وصرخ، وقال: من ضربني؟ وذلك لأنه مفطور على أن كل حادث فلا بد له من محدث، مع أنه ما درس نظرية السببية! لكنها الفطرة، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠]، أما الملاحدة فأناس قد انتكست فطرتهم، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١].



المرتكز الثاني: النظريات الفلسفية

ومن أهم تلك النظريات الفلسفية:

أولًا: تعظيم العقل، وأن باستطاعته أن يدرك كل شيء، مع حصر الموجودات في المحسوسات، وهم في هذا مخالفون للعقل وللحس؛ إذ العقل البشري أضعف من أن يحيط علمًا بكل شيء.

روى ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: أن رجلًا أتى عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بابن له فقال: «لقد حيّرت الخصومة عقله، وأذهبت المنازعة قلبه، وذهبت به الكلفة عن ربه»، فقال عبد الله: «**امدد بصرك يا ابن أخي؛ ما السواد الذي ترى**»؟ قال: «فلان»، قال: «**صدقت**» قال: «**فما الخيال المسرف من خلفه**»؟ قال: «لا أدري» قال عبد الله: «**يا ابن أخي؛ فكما جعل الله لأبصار العيون حدًّا محدودًا من دونها حجابًا مستورًا، فكذلك جعل لأبصار القلوب غاية لا يجاوزها، وحدودًا لا يتعداها**». قال: فردَّ الله عليه غارب عقله، وانتهى عن المسألة عما لا يعنيه، والنظر فيما لا ينفعه، والتفكر فيما يحيره[1].

---

(١) الإبانة، لابن بطة (١/ ٤٢٢)

وكذلك الحسُّ؛ فإنه محدود؛ إذ ليس كل الموجودات محصورة فيه؛ فنحن نسلِّم أن المحسوس موجود؛ لكن ما الدليل على أن غير المحسوس غير موجود؟

إن الحِسّ أضعف من أن يكون معيارًا للموجودات، ومما يدل على ذلك: أن الحس قد يخون صاحبه، وقد يُظهر له الأشياء على غير وجهها، ولذلك تأمل فيما تراه بعينك في الطريق وقت الظهيرة؛ ألست تبصر - والبصر أهم الحواس - ماءً؟ وهو سراب لا حقيقة له.

وكذلك القلم الذي يوُضع في كأس من الماء، فإنه يُرى مكسورًا، وليس بمكسور.

فالحس إذن لا ينبغي أن يعتمد عليه ذاك الاعتماد، وليُربع الملاحدة على أنفسهم.

إن العقل والحس لا يمكن - عند العقل السليم - أن يُفسَّر بهما كل شيء، وأن يدركا أغوار كل شيء، وأن يحكما على كل شيء.

فهذه الروح - التي هي أقرب إليك من كل شيء - يعجز العقل والحس عن معرفة حقيقتها، كما يعجزان عن معرفة حقيقة العقل نفسه، وقل مثل ذلك في حقيقة الرؤى

والأحلام، وحقيقة الجاذبية، إلخ .. فلا يستطيع ملحدٌ إنكار هذه الأشياء، مع عجز عقله وحسِّه عن معرفة كنهها.

إذن إذا تحذلق الملحد فقال: «بما أننا لا نرى الله؛ إذن هو غير موجود»! فهذا مكابرةٌ للعقل والحس؛ لأننا لو اعتمدنا قاعدته في المجال العلمي الذي يتبجح به؛ فإنه ستسقط جميع أسس العلم التجريبي من أصلها، مع أن الملحد يزعم أنه يعتمد على النظريات العلمية.

فلا أحد من العلماء رأى الجاذبية، ولا أحد منهم رأى الإلكترون، ولا رأى الأثير، ولا أحد منهم رأى الطبيعة الموجية للضوء، ولا رأى الطبيعة الذرية، ولا ولا ولا ... في سلسلة طويلة من الحقائق العلمية.

فعدم رؤيتنا الله تبارك وتعالى، وعدم إدراكنا لحقيقته لا يعني عدم وجوده، ويكفي العقول أن تستدل على وجوده بآثار صنعه، وما فيه من نظام وإتقان وإحكام، أما التطلُّع إلى إدراك حقيقة ذاته وصفاته تبارك وتعالى؛ فهذا ما لا سبيل للعقل إليه.

وإذا لم يتمكن عالم من علماء الطبيعة أن يعرف كل شيء عن حقيقة ذبابة واحدة، فكيف يروم أن يعرف كنه ذات الله العظيم تبارك وتعالى؟!

فاحتجاب الله ﷻ عن خلقه ليس دليلًا على أنه غير موجود سبحانه، وإلا فهل يقول الملحد عن رجل غاب والده قبل ولادته فلم يلقه في حياته ـ هل يقول: إنه لا أب له؛ لأنه لم يلقه ولم يشاهده؟!

الحقيقة ـ مرة أخرى ـ أن المنهج الإلحادي هشٌّ، وإن كابَر الملحد.

ومن الخلل المنهجي عندهم في هذه القضية: أنهم لما حصروا المدركات بالحس؛ ردُّوا الأخبار الصادقة التي جاءت من طريق من أثبتت البراهين اليقينية صدقهم، وهذه مكابرة لما يعلمه كل العقلاء من أن العلوم تدرك بالحس، وتدرك بالعقل، وتدرك أيضًا بالأخبار الصادقة.

والعجيب أنهم في هذا متناقضون؛ لأنهم يجحدون الأخبار ويقبلونها في آن واحد! فحينما يُناقَش أحدهم فيستدل بنظرية ما؛ فإنه يقال له: هل طبّقتها وأدركتها بنفسك؟ فسيقول: لا، وإنما قام بها فلان، ونص عليها علان! وهذه مناقضة لمنهجه المزعوم؛ حيث وصل إلى ما يعتقد عن طريق تصديق الخبر، وليس عن طريق الحس.

إذن لم يعيب الملاحدة على أهل الإيمان قبول أخبار الغيب؟ فإن أخبارهم إذا كانت تتحدث عن محسوسات؛

فأخبار الرسل الغيبية تتحدث عن محسوسات أيضًا؛ لكنها تحس بعد الموت.

فإذا كانت هذه أخبارًا وتلك أخبارًا؛ فأخبار الرسل أولى بالقبول؛ لقيام البراهين القطعية على صدقهم.

والخلاصة: أن المنهج الإلحادي منهج متناقض؛ يكذِّب بالشيء ويصدِّق نظيره، فهو - على سبيل المثال - يكذب أن الله خلق آدم عليه السلام من طين ثم تناسل البشر بعده؛ لأنه - عنده - غيب غير محسوس، وفي مقابل هذا يصدِّق بأن أصل الإنسان خلية وجدت قبل ملايين السنين، ثم تطورت من خلال الانتخاب الطبيعي، مع أن هذا غيب بالنسبة له أيضًا! لكنه مقبول عنده لأن مصدره إلحادي، وذاك مردود لأن مصدره وحي قرآني!

فالمنهج إذن منهج متناقض، ليس له حاكم إلَّا الهوى.



ثانيًا: قاعدة الشك.

الحقيقة أن الملحد تكوينٌ مركَّبٌ من الشك ومن

التشتت الفكري، والشك لحمة الإلحاد وسَداه، ولعل أصدق وصف لحال الملحد: هذه القصيدة:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت.
ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت.
وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت.
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري.
وطريقي ما طريقي، أطويل أم قصير؟
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور؟
أأنا السائر في الدرب أم الدرب يسير؟
أم كلانا واقف، والدهر يجري؟
لست أدري.
أتراني قبلما أصبحت إنسانًا سويًّا.
كنت محوًا أو محالًا؟ أم تراني كنت شيئًا؟
ألهذا اللغز حل؟ أم سيبقى أبديًّا؟
لست أدري .. ولماذا لست أدري؟
لست أدري!

وهذه القاعدة ـ قاعدة الشك أو التشكيك ـ عماد الإلحاد، وهي التي يسعى الملاحدة جهدهم إلى غرسها في نفوس الناشئة، إذ ما أسهل أن تنقاد هذه النفوس الجاهلة إليهم بعد أن تتمكن هذه القاعدة من نفوسهم، ولذلك هم حريصون أشد الحرص على أن يؤصِّلوها في كلِّ محفل.

وهذه القاعدة الأثيرة عندهم أصّلها لهم «أرسطو» وغيره من الفلاسفة، حيث يقولون: «من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليَمْحُ من قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليسعَ في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، وليشك في الأشياء، ثم ليكتفِ بعقله وخياله ورأيه».

ثم كمَّلوا هذا القانون بقانون آخر وهو نسبية الحقيقة؛ فليس عند القوم حقيقة مطلقة.

فمع قاعدة الشك ونسبية الحقيقة يُقطع نصف الطريق، ولا يبقى إلَّا شياطين الإلحاد ليؤزُّون الإنسان بعد ذلك إلى الإلحاد أزًّا[1].

---

(١) من نماذج هذه الثقافة التي يُراد الترويج لها، مقال لبعضهم بعنوان «لنشك حتى لا نقع في شرِّ قطعياتنا» نُشر في إحدى الصحف، يقول فيه صاحبه ضمن كلامه: «لذا لا بد للإنسان ـ ولا يتأتى ذلك له للأسف غالبًا إلاَّ بالعيش في جوٍّ ثقافيٍّ فلسفيٍّ- أن يشك ولو مرة =

والعجيب في أمر هؤلاء أنهم أكذب الناس وأكثرهم معارضة لهذا الأصل؛ فإنهم متمسكون غاية التمسك بما عليه أئمة الإلحاد وما عليه نظريات الإلحاد، يتعصبون لها غاية التعصب، ولا يخرجون عنها قيد أنملة، ولا يشكون فيها ولو للحظة!

ومهما يكن من شيء؛ فمنهج الشك منهج مصادم للعقل، ومطالبة مَن وصل إلى برد اليقين أن يشك لأجل أن يتيقن بعد ذلك! إنما هي بمثابة أن يقال لإنسان: اشرب السم لتجرب الترياق بعده، وهل يفعل هذا عاقل؟!

= واحدة»... ثم يقول: «إنه شكٌّ يأتي بالذات بمراعاة نسبية الحقيقة على المستوى الاجتماعي والثقافي بوجه عام، شكٌّ يعطي دفعًا للشاكِّ أن لا يتحمس، أو يتمعَّر وجهُه أو تنتفخ أوداجُه عندما يتعايش مع من يخالفه توجهاتِه، إذ إن هذا الشك يتيح لذلك الإنسان الشاك استحضار تساؤلات من قبيل: ولماذا لا تكون وجهة نظر فلان هي الصواب؟ أو: لماذا لا تكون تلك الرؤية أو ذلك التأويل أو التفسير أو التخريج لذلك الفرد أو الجماعة، أو الفرقة [ولاحظ أن الأمر مطلق، مسلم أو كافر، ملحد أو مؤمن، لا فرق] لماذا لا تحمل على الأقل شيئًا من الصحة في باطنها، ولماذا مثلاً لا تكون الرؤية التي أحملها أو تلك التي حُمِّلتها ليست قاطعة، ويشوبها الشك وعدم اليقين؟ في مثل هذا الجو الثقافي المشبع والمربى على نسبية الحقيقة النظرية على الأقل، لا يملك الإنسان إلاَّ أن يكون متسامحًا مع غيره لأنه لا يحمل اليقين على قطعية ما تناهى إليه نظره، أو ما برمجته عليه ثقافته طول عمره».

أما دعوى نسبية الحقيقة؛ فأظهر في الفساد والبطلان، إذ يمكن أن نسقطها على نفسها ابتداءً، وبالتالي سوف تُنسف من أساسها.

ولو طردنا هذه القاعدة، فستفسد الدنيا بما فيها، لأنه يمكن بمقتضاها أن يعتدي إنسان على غيره، وإذا قيل له: إنك أخطأت، فسيقول ـ بناء على القاعدة ـ : ما رأيتموه أنتم خطأ لا أراه أنا خطأ؛ فالحقيقة نسبية! فإذا قيل له: ولكن ليس لك أن تضر بالآخرين بناء على قاعدتك، فإنه سيقول: ما ترونه أنتم ضررًا لا أراه أنا ضررًا!

فأي عبث بعد هذا العبث، وأي فساد بعد هذا الفساد؟!

أما نحن ـ معشر المسلمين ـ فنعتقد اعتقادًا راسخًا كالجبال الرواسي ـ بحمد الله ـ أن الله حق، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]، ورسوله محمدًا ﷺ حق، وما أنزله جل وعلا على رسوله ﷺ هو الحق المطلق، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ [يونس: ٥٣].

وعليه؛ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

ومما سبق يُعلم أن الإلحاد أعظم معوَل لهدم العلوم

والمعارف، وأنه مَدرَجةٌ للإباحية والفوضى العارمة التي لا يبقى وراءها مانع علمي ولا خلقي؛ فلا إله يُذعَن لأمره، ولا رقيب ولا حسيب ولا جزاء.

ولذا، فإن هذا المنهج لم ينتج سكينة ولا طمأنينة ولا سعادة، يدل على ذلك الإحصاءات العالمية التي تتحدث عن نسبة طردية بين الإلحاد والانتحار، فبحسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية: تتصدر الدول التي ينتشر فيها الإلحاد قائمة الدول التي يكثر فيها الانتحار، وهي: اليابان، كوريا، فنلندا، فرنسا، الدانمارك، السويد.

ويلاحَظ أنها دول لا ينقصها تقدم تقني ولا رفاهية في العيش، لكن صدق الله جل في علاه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

ولم أذهب بعيدًا؛ فهذا الدكتور إسماعيل أدهم الذي ذُكر آنفًا؛ فبعد أن أضاع عمره داعية مخلصًا لفكرة الإلحاد.. مات منتحرًا! رمى بنفسه في البحر في الإسكندرية، وأخبر في وصيته التي كتبها موجهة إلى رئيس النيابة أنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وطلب أن تحرق جثته.

وصدق الله، ومن أصدق منه حديثًا: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا

ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ [الأنعام: ٧١].

ثالثًا: ما يتعلق بقضية القدر، وذلك إما من باب ما أسموه **فكرة الشر أو نظرية الشر**، فقد زعموا أن حصول الشر والقتل والقلاقل في العالم دليل على انتفاء وجود الرب القدير الرحيم، لأنه في زعمهم لو كان موجودًا لمنع حصول الشر.

أو من باب ما أسموه **العبثيَّة الكونية**، فيزعمون أنه يقع في الكون أشياء متناقضة لا تتوافق والعقل، وعليه فالكون عبثي ليس له مدبر.

وهذا وذاك راجعان إلى جهلهم ـ أو تجاهلهم ـ لأصل إثبات الحكمة في أفعال الله تبارك وتعالى وتقديره، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ قال في تائيته في القدر[١]:

وأصلُ ضلال الخلق من كلِّ فرقة
هو الخوض في فعل الإله بعلةِ
فإنهمُ لم يفهموا حكمةً له
فصاروا على نوعٍ من الجاهليةِ

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٤٦).

ووقوع المصائب والمحن في هذه الحياة راجع إلى قاعدة الابتلاء: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢]، فربنا جلَّ جلاله يبتلي بالمحن ويصلح، ويهذِّب ويكفِّر ويثيب، لكن القوم قد عموا عن هذا، وعموا أيضًا عن أنه لا يوجد أصلًا شرٌّ محضٌ في تقديرات الله تبارك وتعالى؛ أما في فعله جل وعلا وفي حكمه القدري فلا يوجد شرٌّ أصلًا، كما يقول النبي ﷺ: «**والشر ليس إليك**»(١).

وأما في تقديراته؛ فالشر الواقع شرٌّ جزئي، والله تبارك وتعالى ـ وهو الحكيم العليم ـ إنما قدَّره ـ ولو كان مؤلمًا ـ لما فيه من خير ومصلحة، إما للعبد وإما لغيره، علمه أو جهله.

والخلاصة: أنه لابد أن يكون في تقديراته سبحانه خير، وأدلة إثبات هذا كثيرة، بل ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أدلة إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله تزيد عن عشرة آلاف دليل(٢).



---

(١) رواه مسلم برقم (٧٧١).

(٢) انظر: شفاء العليل (٢/ ٥٧٣).

رابعًا: تلبيسات ومغالطات عقلية يعتمد عليها الملاحدة.

فمن مغالطاتهم العقلية وتلبيساتهم: أنهم إذا ناظرهم المسلم وبيَّن لهم قانون السببية، وأن كل حادث فلا بد له من محدث، وأن كل ما وُجد من عدم فلا بد له من خالق، فإن الملحد يسأل بغباء: سلمنا بأن الله خلق كل شيء؛ فمن خلَق الله؟ ولم لا يُطبق قانون السببية عليه أيضًا؟

وهذا سؤال فاسد؛ فالملحد يسلِّم أنه خالق، ثم يقول: من خلقه؟ فيجعل منه خالقًا ومخلوقًا في نفس الجملة! وهذا تناقض واضح في بدائه العقول؛ لأن الخالق لا يمكن أن يكون مخلوقًا، والمخلوق لا يمكن أن يكون خالقًا.

ومن تلبيساتهم ومغالطاتهم أيضًا: أنهم يطرحون أسئلة غاية في الغباء، يقول أحدهم ـ مثلًا، وهو سؤال قديم ـ : هل يستطيع الله خلق صخرة لا يستطيع حملها؟

وهذا السؤال وأمثاله فيه مغالطة عقلية كبيرة، وهدفه إلزام المجيب؛ فإنه إن قال: لا يستطيع، قالوا: كيف

يكون ربًّا وهو عاجز عن الخلق؟ وإن قال: يستطيع، قالوا: كيف يكون ربًّا وهو عاجز عن الحمل؟

فهدف هذا السؤال تشكيك المؤمن في قدرة الله ﷻ، وبالتالي تشكيكه في وجوده. وهو عند التأمل سؤال عبثيٌّ لا أقل ولا أكثر، ودليل آخر على أن الموقف الإلحادي موقف عبثيٌّ.

فهذا السؤال سؤال فاسد؛ أي أنه غير صحيح في أصله، بل يُفسد بعضه بعضًا، وينقض آخره أوله؛ لأنه من البدهي أن من قدر على أن يخلق صخرة ويوجدها من العدم؛ فهو قادر على حملها من باب أولى!

فنحن نعتقد أن الله على «كل» شيء قدير؛ وعليه فهو قادر على خلق أي صخرة مهما بلغت في الكبر، وعلى حملها أيضًا، وهذا هو الكمال، وإذا كنت ـ أيها الملحد ـ تعتبر الكمال عجزًا؛ فهذه مشكلة في عقلك تحتاج إلى علاج!

ومما يلبِّس به الملاحدة أيضًا: زعمهم أن في الإسلام أشياء متناقضة تتعارض مع العقل، ويوردون على هذا شُبهًا، منها على وجه التمثيل:

يقولون: حديث سجود الشمس تحت العرش[1] لا يمكن قبوله عقلًا!

وأما أهل الإيمان؛ فليس عندهم أدنى شك في التسليم لهذا الحديث، فيعتقدون بصدق ما جاء في هذا الحديث، لأنه من كلام الصادق المصدوق ﷺ؛ بل هو من أصح ما يكون من الأحاديث، ومعناه عندهم: أن الشمس خلال جريها في فلكها في الفضاء وفي مكان معين منه تكون ساجدة لله تحت العرش، ولا شك أن جميع الفضاء وما فيه من الأجرام والأفلاك تحت العرش، وإن كنَّا لا نعرف كيفية هذا السجود.

فالملاحدة يشغِّبون على المسلمين بهذا الحديث، مع أنهم لو لزموا الإنصاف لكانوا أولى بالتشغيب؛ فأي القولين أولى بالقبول عند أهل العقول؟ القول بأن شمسًا ذات جرم كبير جدًّا، وحرارة عظيمة جدًّا، تسبح في

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٠٢)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه ولفظه: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «**يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟**»، قلت: «الله ورسوله أعلم»، قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس: ٣٨]».

الفضاء في مسار محدد ومنضبط، وحدود لا تخرج عنها قيد أنملة، وهذه الشمس حدثت صدفة دون خلق خالق!

أم القول بأن الشمس التي خلقها الخالق العظيم القدير ﷻ وصرَّفها حيث شاء؛ جعلها تسجد تحت العرش في مكان معين، دون أن نلحظ ذلك أو ندرك حقيقته؟

لا شك أن القول الثاني أولى بالقبول عند كل عاقل.

فالخلاصة: أن من أساليب الملاحدة ومناهجهم في التقرير والمناقشة: اعتماد أسلوب المغالطة الجدلية والتلبيس على المحاوِر، وهم في هذا لا يحترمون المنهج العلمي السليم في المناظرة؛ فتجدهم مثلًا يطعنون في دين الإسلام، ويحاولون تغطية ضعف المنهج الإلحادي من خلال هجمة شرسة وجريئة على الإسلام، ثم هم في هذا الطعن يغالطون أشد المغالطة، حيث تجدهم حين يتكلمون عن الدين يخلطون بين الحق والباطل، والصحيح وغير الصحيح.

أو تجدهم ينتقدونه، وما ينتقدون إلَّا مفاهيم لبعض الفرق المبتدعة.

أو ينتقدونه، وما ينتقدونه ليس إلَّا اجتهادات فردية لشخص معين، فيعممون الحكم على الدين كله.

أو ينتقدونه من خلال النظر في حال المسلمين، وما هم عليه من ضعف في هذا العصر.

أو يطعنون فيه بزعم أن الإسلام والعلم ضدان لا يجتمعان.

ولا شك أن كل هذا ظلم وجور ومغالطة، والمنهج العلمي السليم والعدل والإنصاف كلها تقتضي أن يُنظر إلى الإسلام في نفسه، وأن يُحكم عليه من خلال أحكامه.

وإذا أريد الحكم عليه من خلال أهله؛ فليكن المعيار: من طبَّقه على وجهه وقام به خير قيام، وهم الصدر الأول من هذه الأمة، وما أثمر لهم ذلك من عز وتمكين، وكيف أنهم كانوا شامة من تاريخ البشر، وصفحة بيضاء لا كان ولا يكون مثلها.



المحور الثالث:

وسائل نشر الإلحاد



الواقع يشهد أن الملاحدة ناشطون في نشر باطلهم، لا سيما في محيط أبناء المسلمين، وذلك لأمور:

الأول: أن الملحد ـ في العالم الإسلامي ـ يشعر بالغربة؛ فهو يريد أن يكثِّر عدد الداخلين في هذا الفكر حتى تخف عنه هذه الغربة، وهكذا الشأن في كل ذي أمر قبيح؛ فإنه يتمنى أن يصير الناس كلهم مثله حتى يذهب عنه بعض ما يجد، ومما يروى عن عثمان رضي الله عنه: (ودّت الزانية أن النساء كلهن زوانٍ).

الثاني: أنه إذا كثر الملاحدة وعلا صوتهم؛ أصبحوا قوة مؤثرة في المجتمع، تستطيع أن تؤثر في الواقع بحسب أهوائها، وغالب الملاحدة من ذوي الإلحاد النفعي المادي؛ فلا يرومون إلَّا الشهوات.

الثالث: رغبة الملحد أن يُطمئن نفسه؛ فالملحد ذو شخصية قلقة شكَّاكة ـ وإن كابر ـ فإذا رأى الواحد تلو الآخر ينضم إلى فكره الإلحادي سكنت نفسه بعض الشيء.

أما عن **الوسائل** التي ينفذ الملاحدة من خلالها إلى شباب المسلمين ـ ذكورًا وإناثًا ـ فكثيرة.

منها: **الكتب الإلحادية** ـ التي تباع، أو التي تنشر عن طريق الشبكة ـ ولا يلزم أن تكون داعية إلى الإلحاد بصورة مباشرة؛ فيمكن تكون صريحة، ويمكن أن تطرح ما يسمى بثقافة الشك، أو تأصيلات تؤدي إلى إضعاف الثقة بالنصوص، أو تبغيض الدين في نفس القارئ، وتصويره في صورة القيود والأغلال؛ وبهذا يُلقي الملاحدة فريستهم إلى ساحل الإلحاد.

إنهم يصلون إلى بغيتهم عن طريق حلقات لا حلقة واحدة!

ومنها كذلك: **القنوات الفضائية**؛ من خلال عرض مفاهيم إلحادية واضحة أو مبطَّنة؛ عن طريق برامج أو حوارات أو مناظرات أو أفلام ـ للكبار أو الصغار ـ وما إلى ذلك.

بل يمكن أن يكون ذلك من خلال البرامج العلمية الوثائقية التي تؤصِّل للنظريات الداعمة للإلحاد ـ كنظرية داروين مثلًا ـ وهذا ما تقوم به بعض القنوات الوثائقية المشهورة اليوم.

ومنها أيضًا: **اللقاءات المباشرة مع الشباب**؛ عن طريق جلسات خاصة، أو ملتقيات عامة، أو «صوالين» ثقافية، تُطرح فيها الأفكار والشبهات.

وتبقى وسيلتان **هما الأخطر** ـ في رأيي ـ في غزو عقول الشباب والناشئة:

الأولى: الشبكة العالمية «**الإنترنت**»، ولست بحاجة إلى التنبيه على انتشار هذه الوسيلة وما تنطوي عليه من مخاطر؛ فأشكال التواصل الإلكتروني الحديث (الإعلام الجديد) أضحت فضاء واسعًا عصِيًّا على المتابعة والمراقبة.

وتوظيفها في نشر الإلحاد له وسائله الكثيرة، ومنها:

أولاً: شبكات التواصل الاجتماعي ـ كـ«تويتر» و«فيسبوك» ـ .

والواقع يُفصح بجلاء عن أنها اليوم مُوجِّهٌ ثقافي بالغ التأثير؛ فمن الناس من يجلس ساعات طوال أمامها يوميًّا؛ فهي جاذبة إلى حد بعيد.

والملاحدة ينفذون من خلال هذا المنفذ ـ كما يلحظ المتابع ـ بتخطيط ونشاط وتركيز، مع انتهاج الأسلوب

الصريح تارة، والرمزي تارة أخرى: فينقلون نظرياتهم السقيمة مغلَّفة بزخرف القول، أو يمجِّدون أساطين الإلحاد ونتاجهم الفكري، أو يبثُّون شبهًا عابرة ماكرة، أو يستهزئون بأحكام شرعية، أو يشكِّكون في مسلّمات دينية، أو يضعفون الثقة بأهل العلم، أو يؤصِّلون الجُمل والمفاهيم الممهدة لفكرهم؛ نحو: التذمر من الوصاية على العقول، ومن هيمنة السواتر الحديدية عليها! والدعوة إلى الانفتاح والانطلاق غير المقيد بقيود، ونحو هذه التأصيلات القادحة في الإسلام، المُزيِّنة للانسلاخ منه.

ثانيًا: مواقع تبادل ونشر المقاطع المرئية ـ وأشهرها: «يوتيوب» ـ ولعل مرتاديها أكثر المستخدمين للشبكة.

فإن الملاحدة يبثون ـ ليل نهار ـ المقاطع التي تؤصِّل للإلحاد أو تُقرِّب منه، ومن مكرهم أنهم يجعلون لها عناوين أو كلمات دلالية مشتهرة يكثر بحث الشباب عنها، نحو: «مباراة»، «أهداف»، أو أسماء ممثلين وفنانين ولاعبين وأفلام ومسلسلات وما إليها؛ لعلمهم أنهم يتتبعون هذا النوع من المقاطع؛ فإذا لاحت أمامهم تلك المرئيات المسمومة دفعهم حب الاستطلاع إلى مشاهدتها؛ فتعتل بها قلوبهم.

ثالثًا: المنتديات العامة.

فالملاحدة يمدُّون شباكهم إليها ـ لا سيما المنتديات ذات الحضور الكبير ـ فيضربون عصفورين بحجر ـ كما يقال ـ: بثُّ الشبه، واقتناص فريستهم من خلال «التفرس»، ثم «التأنيس»، ثم «التشكيك»، ثم «التأسيس»!

فإذا وجدوا في المشاركين ـ من الذكور أو الإناث ـ من يتوسَّمون فيه أنه سيسلس قياده لهم؛ كأن يروا فيه ميلاً إلى التحرر والانفتاح، أو نفورًا من العادات، أو حنقًا على أهل الحسبة ـ مثلًا ـ فإنهم يحرصون على أن يعلِّقوا بعبارات المدح على أي مشاركة له، وبالتالي تُمد بينه وبينهم جسور العلاقة، ثم تتطور شيئًا فشيئًا؛ فمن التواصل عبر البريد الخاص، إلى المحادثة المباشرة «الشات»، ثم إلى إدخاله في مجموعة بريدية فتصله المقالات والكتب، ووصلات المواقع والمدونات ـ التي لا يلزم أن تكون صريحة المحتوى في ابتداء الأمر ـ ، وهكذا يتطور الأمر حتى يصبح صيدًا سهلًا في أيديهم؛ فيسقطونه في المستنقع الآسن.

رابعًا: ـ وهو اللب والأهم، وهو الذي يريدون أن يوصلوا الشباب إليه: المدونات والمواقع الإلحادية.. وهي السم الزعاف!

وهنا أدقّ ناقوس الخطر؛ فمن خلال بحث يسير اطلعت على عدد كبير من هذه المواقع والمدونات الإلحادية التي تتم الدعاية لها من خلال الوسائل السابقة.

وبإطلالة سريعة على هذه المدونات والمواقع: فإني أجزم أن من ولج دهاليزها من ضعيفي التأصيل الشرعي من الشباب أو الفتيات ـ ولعل أكثرهم كذلك ـ وتعرَّض لما هو مبثوث فيها من شُبه ـ فلن يخرج كما دخل، والمعصوم من عصم الله؛ لأن القوم لديهم أساليب متفننة، وشبه وتلبيسات تُنشب أظفارها في قلوب الأغرار؛ بالإقناع العاطفي، والمغالطة العقلية، وإثارة الشبه الدقيقة، وقلب الحقائق، والاستهزاء، والقصص، والأشعار .. في سلسلة طويلة من المكر الكُبَّار!

الوسيلة الثانية: الروايات.

والمقصود: الروايات المنحرفة عقديًا، فهي معول هدم للعقيدة، ومركَب ذَلول موصل إلى الإلحاد؛ وذلك أن الروايات قصص، والنفوس مجبولة على حب القصص، لا سيما وأن كثيرًا منها يضرب على وتر العاطفة أو العشق أو إثارة الغريزة، وهذا النوع مما يميل إليه كثير من الفتيات

والشباب، الذين لا يخفى تهافتهم الكبير على اقتناء الروايات.

وهذا النوع من الروايات أُحبولةٌ للإلحاد، وغالبًا ما ينفذ الملاحدة ـ خلال هذه الروايات ـ من مشكلة القدر التي يزعمون؛ بالتشكيك في حكمة الباري جل جلاله، أو ما يطلقون عليه: «العبثية الكونية»، التي نتيجتها جحد وجود رب مدبر للكون.

فإن قال قائل: الرواية عبارة عن قصة لا تحمل فكرًا ولا هدفًا للكاتب.

فالجواب: مخطئ من ظن هذا الظن؛ إذ الرواية رسالةٌ موجهة، لكنها في قالب قصصي، وفي هذا يقول شيخ الروائيين المعاصرين ـ المنحرفين ـ «نجيب محفوظ»: «إن الأديب يختار شخصياته لأنه وجدها صالحة للتعبير عن شيء ما في نفسه، كأن يجدد شخصية تتسم بالضياع، وكان الأديب وقتها يشعر بالضياع، أو شخصية ثائرة، وكان وقتها يعاني من ثورة مكبوتة» إلى آخر ما قال[١].

فهذه الروايات ـ ومثلها المقالات وغيرها ـ لا يلزم

(١) أدب نجيب محفوظ (٥٦).

بالضرورة أن تقدم الإلحاد في صورة صريحة، فهذا التصور من السذاجة بمكان، نعم قد تكون النزعة الإلحادية ظاهرة، وقد تكون داعمة للإلحاد لا بوجه صريح، وبالتالي فهذا الصنف من الروايات يلقي المتلقي إلى باب الإلحاد، أو يقرّب المسافة إليه.

والحديث عن هذا الموضوع ذو شجون، وكشف النقاب عنه يحتاج إلى مساحة أوسع.



المحور الرابع:

وسائل المواجهة



ربما يقول قائل: الملاحدة في المجتمع المسلم قليل، فلماذا هذا التضخيم؟ ولماذا يطرح هذا الموضوع أصلًا؟

والجواب أن يقال: ما الذي يدري هذا القائل أن الإلحاد قليل؟ ومن أين له هذا الحكم؟ بل لعل الواقع أسوأ مما نتوهم بكثير، ثم على تسليم أن هذا المرض العضال قليل في المجتمع المسلم، فهل من الحكمة أن نتجاهله وأن نعرض عن الكلام عنه؟!

وهل من الحكمة والعقل أن إذا اكتُشف في بلد وباء فتاك يهلك الحرث والنسل، ويُخشى من سرعة انتشاره، لكن الحالات المسجلة ليست إلّا حالة أو اثنتين فقط ـ فهل من العقل والحكمة أن نُعرض عن هذا الشأن بالكلية لأن المصابين قليل! أم أن من الحكمة والعقل أن تُستنفر جميع القوى وجميع الإمكانات لدفع هذا الوباء.

فإذا كان هذا الواجبَ في أوبئة الدنيا؛ فما الحال مع أعظمِ وباء؛ وهو وباء جحد الخالق تبارك وتعالى، والكفر برسالاته وأنبيائه؟!

ثم يقال أيضًا: هذا الوباء الفتاك إن سلم منه مجتمع فإن كثيرا من المجتمعات تئن تحت وطأته.

إذن فالطرحُ مفيدٌ ـ ولا بد ـ لهذا ولذاك؛ هذا في العلاج، وذاك في الوقاية، والسعيد من وُعظ بغيره.

إنَّ وسائل مواجهة الإلحاد كثيرة، لكن يجب أولًا أن نعِيَ أنه لن يحصل ـ في الغالب ـ انحرافٌ لأحد من شبابنا ـ وأنا أخصهم بالحديث لأنهم الفئة المستهدفة من الملاحدة غالبا ـ ولن يُـجَرُّوا إلى قذارة الإلحاد إلَّا من تقصير حصل بوجه أو بآخر من ذوي المسؤولية التربوية والعلمية والدعوية؛ كالأسرة، والمدرسة، والجامعة، والإعلام، والموجهين والدعاة.

واستشعار طلاب العلم والدعاة والموجهين هذه المسؤولية سيؤدي ـ بتوفيق الله ـ إلى نشاط واجتهاد في الوقوف أمام المد الإلحادي، والله ﷻ أخبرنا أن الكفار ولو عظم كيدهم فإنه موهن كيدهم: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨].

سبل المواجهة ـ في نظري ـ نوعان: سبل وقاية، وسبل علاج.

أما **سبل الوقاية**: فإنها تهدف إلى بذل الأسباب التي تحول بتوفيق الله بين الشباب المسلم وبين الوقوع في براثن الإلحاد، ومنها:

أولاً: العكوف على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ تلاوةً وتدبرًا، والله ﷻ يقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عِمرَان: ١٠١]، وقال ﷺ: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله**»(١).

ثانيًا: السعي في الوصول إلى ذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته؛ من خلال التأمل في صفات الله جل وعلا، ومن خلال التأمل في سيرة المصطفى ﷺ، ومن خلال التأمل في محاسن الإسلام. وفي صحيح مسلم(٢)

(١) رواه مسلم برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه. وعند الدارقطني (٤/ ٢٤٥) مرفوعًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**خلّفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض**».

(٢) برقم (٥٧) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

قال ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً**».

ثالثًا: غرس العقيدة الصحيحة في النفوس بكل وسيلة؛ كالدروس، والمحاضرات، والخطب، والبرامج، والمناهج، وكل طريق، لا سيما الأصول التي يؤدي الرسوخ فيها - بتوفيق الله - إلى تفكيك الفكر الإلحادي: كالإيمان بالغيب، والإيمان بالقدر، واعتقاد الحكمة في أفعال الله، وتعظيم النصوص الشرعية، مع بيان حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر وخطره، والعلاقة بين العقل والنقل.

كما يجب أيضًا أن تُعاد الهيبة إلى المواد الشرعية في المناهج التعليمية، وأن يُربَّى الطلاب على أنها الأصل والأعظم والأجدر بالاهتمام في هذه الحياة، وأن تكون لها الصدارة في عدد الحصص، وفي أوقاتها، وفي الدرجات، وليس أن يكون هذا للمواد العلمية التجريبية على حساب المواد الشرعية.

رابعًا: تقوية الشعور بالاستعلاء الإيماني والنعمة الإيمانية، واليقين بأن الله مع المؤمنين؛ يكلأهم برعايته، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ثم منقلبهم في الآخرة إلى جنات النعيم، حيث غاية لذتهم رؤية البر الرحيم سبحانه.

خامسًا: «الترشيد الثقافي»، بملاحظة مصادر التلقي التي يستقي منها الشباب أفكارهم؛ فيُلاحَظون فيما يقرأون، وفيما يتابعون من مواقع، ولا يترك لهم الحبل على الغارب، فإن من أعظم الأخطار أن يسمح للناشئ أن يبحر في الشبكة كيف شاء دون رقيب أو حسيب.

ولن نصل إلى تحقيق الطمأنينة والأمن لأبنائنا إلَّا إذا وصلت العلاقة بين الابن وأبيه والأخ وأخيه والمعلم وتلميذه إلى مرحلة الصداقة؛ بحيث يكون الصدر المفتوح أمامه ليبثه الشبه التي تعرض له والأسئلة التي تحيره، بدل أن يبحث عن أجوبتها في جحور الحيات والعقارب.

سادسًا: تأصيل المنهج الشرعي في التعامل مع الشبهات؛ بالنأي عنها، والسعي في كشفها.

وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن نُعنى بغرسه في نفوس الناشئة، وهو أن **الشبهة داء، ولا ينبغي التعرض للداء**، والسلامة ـ كما قال السلف ـ لا يعدلها شيء، ومنع المبادي أولى من قطع التمادي.

والشُّبهة فتنة، والنبي ﷺ أخبر أن الفتن من استشرف

لها استشرفت له[١].

وعليه فيجب أن يُقنع الناشئة ـ وغيرهم ـ بأن لا يرخوا أسماعهم لمن يبث في نفوسهم الشُبه؛ فإن الشُبه خطَّافة، والقلوب ضعيفة؛ فالاستماع للشبهة إذن مغامرة غير محسوبة العواقب، وكم من إنسان ظن في نفسه القوة والعلم فوَلج إلى موقع أو استمع إلى مُلبِّس فأوقع في صدره شبهة لم تخرج منه؛ بل صرعته وفعلت به الأفاعيل.

ثم إنه إذا ابتلي بها ـ عن غير تنقير عنها ـ فعليه أن يلجأ إلى الله في أن يعافيه منها، ثم أن يراجع ـ على عجل ـ أهل العلم لكشفها.

هذا هو الحق المبين، وما سواه فتلبيسٌ مردود، يسوِّقه دعاة الضلالة في جمل براقة، تدعو إلى الانفتاح الثقافي غير المنضبط، والهدف أن يُترك الشباب نهبًا لهم؛ فيوجهوهم إلى حيث شاءوا.

والمنهج الشرعي في هذا الباب واضح بحمد الله؛ وهو: الحذر من الفتن، والتحذير من أهلها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخذ على أيدي السفهاء.

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٢٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سابعًا: رعاية شباب المسلمين المبتَعثين في بلاد الكفر.

وقد حسم علماؤنا هذا الباب، فبيَّنوا ما يحل من الابتعاث وما يحرم، وما ضوابط الحِلِّ، والواقع الذي نعيش فيه، فيه مشكلة لا ينكرها عاقل، والواجب على الغيورين أن لا يقفوا مكتوفي الأيدي ويتركوا هؤلاء الشباب ـ وهم حدثاء في أسنانهم، ضعيفون في تجربتهم ـ صيدا سهلا لهؤلاء الملاحدة، ولهذه الدعوات الهدامة.

وهنا أرفع صوتي مخاطبًا الحريصين على هؤلاء الشباب من مؤسسات وأفراد: أن يولُوا هذا الموضوع الاهتمام اللائق به، وأن يضعوا البرامج التي تهدف إلى تحصين الشباب، قبل ذهابهم وبعد ذهابهم.

وعلى الجهات الرسمية المعنية بالدعوة والإرشاد والملحقيات الثقافية واجبٌ في توعية الشباب وتحذيرهم، وأن يكونوا الصدر الواسع الذي يحتضنهم، والذي تتكسر على عتباته أمواج الشك التي قد تحيط بهم.

وعلى الدعاة أن لا يغيبوا عن ساحة النصح هذه، وأن لا يهملوا هؤلاء الشباب، ولا يغفلوا زياراتهم في

أماكنهم، مع التواصل مع النوادي الطلابية ورؤسائها وأمنائها.

وكذلك ينبغي أن يكون لطلبة العلم الشرعي مشاركة في المواقع المخصصة للشباب المبتعثين وملتقياتهم ومجموعاتهم البريدية، كما ينبغي تعاهدهم من وقت لآخر من خلال الجهات المعنية بالرسائل والمطويات والكتيبات والأقراص التي تعالج هذا الجانب المهم.

ثامنًا: أن تقوم الجهات المسؤولة من الجهات المعنية بالدعوة أو الحسبة أو رعاية الشباب أو التعليم أو غيرها بتجفيف منابع الإلحاد واجتثاث أسبابه، وهذا موضوع واسع.

تاسعًا: إقامة حكم الله ﷻ فيمن وقع في هذا الكفر الغليظ، وبهذا يرتدع الآخرون، كما قال عثمان رضي الله عنه: «ربما يَزَع السلطانُ الناسَ أشدَّ مما يزعُهُم القرآنُ»(١).

عاشرًا: التزام الوصايا النبوية العظيمة الواردة في هذا الباب، ومنها: الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى؛ فإن الإلحاد ليس قضية علمية ثابتة، وإنما هو مجموعة

(١) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣/ ٩٨٨).

وساوس، والوساوس إنما تنفذ من خلال الشيطان، وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه عند الترمذي[١]، قال ﷺ: «**كذلك العبد لا يُحرز نفسه من الشيطان إلاَّ بذكر الله**».

وينبغي العمل بالوصية النبوية في هذا الباب، وهي قوله ﷺ كما في «صحيح مسلم»[٢]: «**لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خَلقَ الله الخلْق؛ فمن خَلقَ الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل: آمنت بالله**».

وقد جمع أهل العلم[٣] خلاصة ما جاء في الوصايا النبوية لمن ابتلي بهذه الوساوس التي تصل إلى شكّه في ربه جل جلاله، وهي خمس، فينبغي أن يعلمها ناشئة المسلمين:

أولاً: أن يقول العبد: آمنت بالله ورسله.

ثانيًا: أن يقول: الله أحد الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

ثالثًا: أن يتفل عن يساره بعد هذا القول ثلاثًا.

---

(١) برقم (٢٨٦٣).
(٢) برقم (١٣٤).
(٣) انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٣٦).

رابعًا: أن يستعيذ بالله من الشيطان.

خامسًا: أن ينتهي عن هذه الوساوس؛ فإن النبي ﷺ قد قال ـ وقوله الحق ـ : «**فإن ذلك يذهب عنه**»[١].

هذه عشر وسائل للوقاية.

أما **سبيل المواجهة** لهذا الفكر الهدام فهو العلاج؛ علاج من وقع ـ بالفعل ـ في حمأة الإلحاد، وهو في الغالب أحد رجلين:

ـ **مسلمٌ عرضت له شبهة إلحادية** فوقع في شك، غير أنه لا يدعو إليه، ولا يسخر من الشريعة.

وعلاج هذا بالمناصحة الإيمانية والعقلية، وأن يُسعى حثيثًا في اجتثات هذا الفكر من نفسه بأسلوب هادئ حكيم، وهذا ما ينبغي أن يتصدى له داعية على علم، عنده باع في هذا الأمر، لا جاهلٌ يزيد الطين بلة.

ولا بد أن يستشعر هذا الداعية جانب الرحمة والشفقة بهذا المنصوح الذي اجتالته الشياطين.

ـ **والآخر: متمرد يدعو إلى الإلحاد**، ويقيم عليه

---

(١) كما عند أحمد في المسند برقم (٢٦٢٠٣).

الأدلة، ويسخر من الشريعة وأهلها؛ فهذا يجب أن يرد عليه ولا يجوز السكوت على باطله.

هذا من حيث التأصيل العام، أما عند التفصيل فثمة ضوابط لا بد من مراعاتها:

أولًا: الرد على هؤلاء الملاحدة ونقض شبهاتهم لا بد أن تحكمه الحكمة ومراعاة المصلحة، وهذا موضوع يجب أن يوزن بميزان الذهب؛ لأن الموضوع في غاية الخطر، فتارة تكون الحكمة في الإعراض عن الشبهة وإماتتها وإخمال ذكر قائلها والبعد عن تنبيه الجاهل عليها، وتارة تكون الحكمة في التصدي والرد.

ثانيًا: يجب أن يكون الرد ـ إن تحتّم ـ محكمًا قويًّا، وإلا فإن الرد الضعيف في مادته أو الضعيف في أسلوبه يضر أكثر مما ينفع، وما أحسن ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفَّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»(١).

ثالثًا: أن تبنى الردود على الملاحدة على قواعد أهل

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤-١٦٥).

السنة؛ فإنه بالتتبع: وُجد أن كثيرًا من تلك الردود لما بُنيت على قواعد كلامية وعلى أصول بدعية؛ كانت ضعيفة من جهة، وضرَّت المسلمين في عقيدتهم من جهة أخرى.

رابعًا: إن احتيج إلى مناظرة الملحد؛ فينبغي أن تكون المناظرة فردية شخصية لا عامة علنية ما أمكن ذلك، وذلك درءًا للمفسدة التي يخشى حصولها.

خامسًا: من المهم في مناظرة الملحد أن يُمسَك بزمام المناظرة، وأن يكون المناظِر المسلم السائلَ لا المسؤول، فإن هذا بالتجربة أنفع في تحقيق المصلحة.

سادسًا: ينبغي ألا يتصدى لمناظرة الملاحدة إلَّا من أعد العدة، وأخذ للأمر أهبته، وتفطن إلى مداخل الملاحدة ومغالطاتهم التي قد يباغتون بها مناظريهم.



خاتمة

وفي الختام هذه مقترحات أضعها بين يدي أهل العلم والفضل.

أولاً: أن تتبنى مؤسسة علمية موثوقة إقامة مؤتمر عن الإلحاد المعاصر ومواجهته، والجواب عن شبهات الملاحدة بصورة علمية حكيمة رصينة.

ثانيًا: أن تقوم دراسات ميدانية ترصد حجم تأثير الإلحاد على الشباب وشبهاته المريّشة تجاههم - فإن هذا شبه مفقود في مجتمعنا أو في المجتمعات الإسلامية - مع اقتراح سبل المواجهة.

ثالثًا: دعوة طلاب الدراسات العليا في أقسام العقيدة والدعوة والثقافة والتربية إلى مواجهة هذا الفكر الهدام من خلال أطروحات علمية دقيقة.

رابعًا: دعوة المعتنين بالشبكة من طلبة العلم والدعاة أن يتصدوا لهؤلاء الملاحدة وشبهاتهم بكل وسيلة.

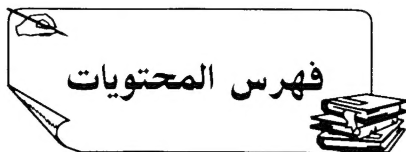
خامسًا: أن تتبنى أقسام العقيدة في الجامعات وضع البرامج والمناهج العلمية التي تؤهِّل طلاب العلم لمقارعة هذا الفكر، فإن هذا الجانب ـ من وجهة نظر شخصية ـ لا يزال يحتاج إلى عناية وتأهيل أكثر.

سادسًا: تدريس الشباب ـ داخل المناهج التعليمية أو خارجها ـ كتابًا يطرح هذا الموضوع بأسلوب علمي حكيم، وأقترح كتابًا للشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسمه: «الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين»، وميزة هذا الكتاب أنه لا يطرح الشبهات، لكن من يقرؤه فإنه يستعلي بإيمانه ويكون في مأمن ـ بتوفيق الله ـ من الوقوع في أُتُون الإلحاد.

ختامًا: أسأل الله تبارك وتعالى أن يملأ قلوبنا بحبه وألسنتنا بذكره، وأن يوفقنا لطاعته، وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.





الموضوع	الصفحة

